

قصة ذى القرنين ويأجوج ومأجوج

كتبـــه

محمد بيومى



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لانبى بعده.

وبعــد،

فقد اختلفت أقوال أهل العلم فى تحديد شخصية ذى القرنين، وهل هو الإسكندر الأكبر أم لا ؟ وهل السد الذى بناه هو سور الصين العظيم أم لا ؟ ومن هم يأجوج ومأجوج الذين يفسدون فى الأرض ويرعبون الناس ؟.

وكل هذه الأسئلة تأتى الإجابة عنها فى هذه الرسالة الموجزة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الآيات التى ذكرت فى قصة ذى القرنين

قال الله تعالى:{**وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لّاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**} [الكهف: 83 - 93].

من هم الذين سألوا الرسول ﷺ عن ذى القرنين؟

ذهب أهل العلم إلى أن الذين سألوا الرسول ﷺ عن ذى القرنين هم اليهود وقد استدل من قال بهذا القول بحديث ضعيف لا يصح، قال الشوكانى: أخرج ابن عبد الحكم فى فتوح مصر، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقى فى الدلائل عن عقبة بن عامر الجهنى حديثاً يتضمن أن نفراً من اليهود

سألوا النبى ﷺ عن ذى القرنين، فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء وكان فيما أخبرهم به: «**أنه كان شاباً من الروم، وانه بنى الإسكندرية، وأنه علا به ملك فى السماء، وذهب به إلى السد**» إسناده ضعيف وفى متنه نكارة، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بنى إسرائيل [1]، قال الآلوسى: والسائلون فى المشهور قريش بتلقين اليهود [2].

مَنْ هو ذو القرنين ؟

ذو القرنين هو ملك صالح عادل وأنه قد بلغ أقصى المشرق والمغرب والشمال والجنوب وهذا القدر المعمور من الأرض.

ويرى كثير من العلماء والمؤرخين أن (ذو القرنين) هو الإسكندر الأكبر المقدونى، وقد كان قبل الميلاد بنحو 330 سنة وكان من أهل مقدونيا وحارب الفرس واستولى على ملك دارا وتزوج ابنته، ثم سافر إلى الهند وحارب هناك، ثم حكم مصر وبنى الإسكندرية ولكن هذا القول فيه إشكال لأن الإسكندر المقدونى كان تلميذاً لأرسطاطاليس الفيلسوف المسمى بالمعلم الأول. وكان على مذهبه فتعظيم الله إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطاطاليس حق وصدق وذلك مما لا سبيل إليه [3]. وهذا مما يدل على أن ذا القرنين ليس هو الإسكندر المقدونى كما قيل. وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية [4]، والحافظ بن حجر [5]، وابن كثير تفسيره [6]، وقال ابن القيم فى "إغاثة اللهفان" فى الكلام على الفلاسفة: ومن ملوكهم الإسكندر المقدونى وهو ابن فيليبس وليس بالإسكندر ذى القرنين الذى قص الله تعالى نبأه فى القرآن، بل بينهما قرون كثيرة وبينهما فى الدين أعظم تباين، فذو القرنين كان رجلاً صالحاً موحداً لله تعالى يؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكان يغزو عباد الأصنام وبلغ مشارق الأرض ومغاربها، وبنى السد بين الناس وبين يأجوج ومأجوج، وأما هذا المقدونى، فكان مشركاً يعبد الأصنام هو وأهل مملكته وكان بينه وبين المسيح نحو ألف وستمائة سنة، والنصارى تؤرخ له، وكان أرسطاليس وزيره وكان مشركاً يعبد الأصنام. قلت: ومن المعاصرين الذين ذهبوا إلى هذا القول سيد قطب فى

(1) "فتح القدير" الشوكانى (314/3) وتفسير ابن كثير (9106/3).
(2) "روح المعانى" الآلوسى (24/16) ط دار الفكر بيروت.
(3) انظر "فتح القدير" (311/3).
(4) انظر "مجموع الفتاوى" (332/17).
(5) انظر "فتح البارى" (382/6).
(6) (103/3).

تفسيره "الظلال" حيث قال: والتاريخ المدون يعرف ملكاً اسمه الإسكندر ذو القرنين ومن المقطوع به أنه ليس ذا القرنين المذكور فى القرآن، فالإسكندر الإغريقى كان وثنياً، وهذا الذى يتحدث عنه القرآن مؤمن بالله موحد معتقد بالبعث والآخرة[1].

هل ذو القرنين ملك من ملوك حمير ؟

قال أبو الريحان البيرونى المنجم فى كتابه: "الآثار الباقية عن القرون الخالية" إن ذا القرنين المذكور فى القرآن كان من حمير مستدلاً باسمه. فملوك حمير كانوا يلقبون بذى كذى نواس وذى يزن، وكان اسمه أبو بكر بن إفريقش، وأنه رحل بجيوشه إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، فمر بتونس ومراكش وغيرهما، وبنى مدينة إفريقية فسميت القارة كلها باسمه، وسمى ذا القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس.

وهذا الذى قاله البيرونى لا نستطيع الجزم به فالله أعلم بصحته وانظر مناقشة الآلوسى لهذا القول واستبعاده له فى تفسيره "روح المعانى".

هل ذو القرنين هو قورش ملك الفرس؟

تزعم اليهود أن ذا القرنين هو قورش ملك الفرس الشهير، وقد قالوا ذلك لأنه هو الذى خلصهم من الأسر البابلى عندما استولى نبوخذ نصر على مملكتهم سنة 579 ق.م وسبى منهم عدة آلاف وأرسلهم إلى بابل عاصمة ملكه.

وهذا القول هو أبعد الأقوال عن الصحة للاختلاف الواضح بين سيرة ذى القرنين الملك الصالح العادل الذى ملك المعمورة، وبين سيرة قورش الملك الفارسى الذى لم يكن على الإيمان ولم يبلغ ملكه ما بلغ ملك ذى القرنين.

والخلاصة: أننا لا نستطيع الجزم بشخصية ذى القرنين إلا بدليل من الكتاب أو السنة الصحيحة، وحيث لا يوجد هذا الدليل فلا يسعنا إلا أن نكل علمه إلى الله تعالى علام الغيوب.

(1) "فى ظلال القرآن" (2289/4).

سبب تسميته بذى القرنين

قال ابن الجوزى: وفى علة تسميته بذى القرنين عشرة أقوال.

أحدها: أنه دعا قومه إلى عبادة الله تعالى، فضربوه على قرنه فهلك، فغبر زمانا، ثم بعثه الله، فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر، فذانك قرناه، قاله - عليه السلام -.

الثانى: أنه سمى بذى القرنين؛ لأنه سار إلى مغرب الشمس وإلى مطلعها، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: لأن صفحتى رأسه كانتا من نحاس.

والرابع: لأنه رأى فى المنام كأنه امتد من السماء إلى الأرض، وأخذ بقرنى الشمس، فقص ذلك على قومه فسمى بذى القرنين.

والخامس: لأنه ملك الروم وفارس.

والسادس: لأنه كان فى رأسه شبه القرنين، رويت هذه الأقوال الأربعة عن وهب ابن منبه.

والسابع: لأنه كانت له غديرتان من شعر، قاله الحسن. قال ابن الأنبارى: العرب تسمى الضفيرتين من الشعر غديرتين، وجميرتين، وقرنين، قال: ومن قال: سمى بذلك؛ لأنه ملك فارس والروم، قال: لأنهما عاليان على جانبين من الأرض يقال لهما: قرنان.

والثامن: لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت ذى شرف.

والتاسع: لأنه انقرض فى زمانه قرنان من الناس وهو حى.

والعاشر: لأنه سلك الظلمة والنور، ذكر هذه الأقوال الثلاثة أبو إسحاق الثعلبى [1].

وقد اختلف فى اسمه فروى الزبير بن بكار عن ابن عباس: كان اسمه عبد الله بن الضحاك ابن معد، وقيل: مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزد بن عون بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان. وقيل: كان اسمه مرزبان بن مرزبة، ذكره ابن هشام، وذكر فى مواضع آخر: أن اسمه المصعب بن مرائد وهو أول التبابعة. وقيل: إنه إفريدون بن إسفيان، وذكر الدارقطنى وابن ماكولا ان اسمه هرمس ويقال: هرويس بن قيطون بن كشلوخين بن يونان بن يافث بن نوح[2]. وجميع هذه الأقوال قيلت: بالاجتهاد والله أعلم بالصواب منها.

هل كان ذو القرنين نبياً ؟

ذهب بعض أهل العلم إلى أن ذا القرنين كان نبياً قال الرازى: قوله تعالى:**{قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا}**، يدل على أنه تعالى تكلم معه من غير واسطة وذلك يدل على أنه كان نبياً وحمل هذا اللفظ على أن المراد أنه خاطبه على ألسنة بعض الأنبياء فهو عدول عن الظاهر [3]، وقال أبو حيان: ظاهر قوله:**{قُلْنَا}** أنه أوحى الله إليه على لسان ملك، وقيل: كلمه كفاحاً من غير رسول كما كلم موسى - عليه السلام - وعلى هذين القولين يكون نبياً، ويبعد ما قاله بعض المتأولين: أنه إلهام وإلقاء فى روعه؛ لأن مثل هذا التخيير لا يكون إلا بوحى إذ التكاليف وإرهاق النفوس لا تتحقق بالإلهام إلا بالإعلام[4]، وقد روى أبو الشيخ فى كتابه "العظمة" عن على بن أبى طالب أنه كان يقول بنبوته، وإلى ذلك ذهب مقاتل والضحاك. وهناك قول آخر عن على بن أبى طالب بعدم نبوته، رواه ابن عبد الحكم فى "فتوح مصر" وابن أبى عاصم فى "السنة".

قال الألوسى: وإلى أنه ليس بنبى ذهب الجمهور، وتوقف بعضهم لما أخرجه عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما أدرى أتبع كان لعيناً أم لا، وما أدرى أذو القرنين كان نبياً أم لا، وما أدرى الحدود كفارات لأهلها أم**

(1) "زاد المسير فى علم التفسير" ابن الجوزى (183/5 - 184) والمكتب الإسلامى.
(2) "البداية والنهاية" (124/2 - 125) باختصار يسير.
(3) "التفسير الكبير" فخر الدين الرازى (376/10) ط دار الغد العربى.
(4) "تفسير البحر المحيط" لأبى حيان الأندلسى (151/6 - 152) ط دار الكتب العليمة بيروت.

لا» [1]، وأنت تعلم أن هذا النفى لم يكن ليستمر لرسول الله ﷺ فيمكن أن يكون درى عليه الصلاة والسلام فيما بعد على أنه لم يكن نبياً كما يدل عليه ما روى عن على كرم الله تعالى وجهه فإنه لم يكن يقول ذلك إلا عن سماع [2].

قلت: وأولى الأقوال فى هذه المسأله هو التوقف فيها وعدم القطع بأحد الأمرين لتعارض الأدلة والله أعلم.

وأما ما استدل به القائلون بنبوة ذى القرنين، فقد علق القاسمى على هذا القول بقوله: ولا يخفى ضعف الاستدلال بهذه الأدلة على نبوته؛ لأن مقام إثباتها يحتاج إلى تنصيص وتخصيص، وأما التعليق والجرى وراء العموميات، لاستفادة مثل ذلك، فغير مقنع [3].

وقال النسفى: إن كان نبياً فقد أوحى الله إليه بهذا أى بقوله:**{قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ ....}** الآية وإلا فقد أوحى إلى نبى فأمره النبى به [4].

تمكين الله لذى القرنين فى الأرض

قال الله تعالى:**{إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ}**، أى ملكه الله تعالى ومكنه من النفوذ أقطار الأرض وانقيادهم له**{وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا}**، أى أعطاه الله من الأسباب الموصلة لما وصل إليه ما به يستعين على قهر البلدان وسهولة الوصول إلى أقاصى العمران، وعمل بتلك الأسباب التى أعطاه الله إياها، أى استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شىء من الأسباب يسلكه ولا كل أحد يكون قادراً على السبب، فإذا اجتمعت القدرة على السبب الحقيقى والعمل به حصل المقصود، وإن عُدما أو أحدهما لا يحصل. وهذه الأسباب التى أعطاه الله إياها لم يخبرنا الله ولا رسوله بها ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا لا يسعنا غير السكوت عنها وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة داخلية وخارجية بها صار له جند

(1) صحيح رواه الحاكم (36/1) وعنه البيهقى (329/8) وابن عبد البر فى "جامع بيان العلم" (50/2) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.
(2) "روح المعانى" الآلوسى (16/ 30 - 31).
(3) "محاسن التأويل" القاسمى (4110/11).
(4) تفسير النسفى (210/3) على هامش تفسير الخازن.

عظيم ذو عدد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها وأنحائها، فأعطاه الله ما بلغ به مغرب الشمس حتى رأى فى مرأى كأنها تغرب فى عين حمئة أى سوداء، وهذا المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربى ماء رآها تغرب فى نفس الماء وإن كانت فى غاية الارتفاع، ووجد عندها أى عند مغربها قوماً**{قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا}**، أى إما أن تعذبهم بقتل أو ضرب أو أسر ونحوه، وإما أن تحسن إليهم، فخُيِّر بين الأمرين؛ لأن الظاهر أنهم كفار أو فساق أو فيهم شيء من ذلك؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين غير فساق لم يرخص له فى تعذيبهم، فكان عند ذى القرنين من السياسية الشرعية ما استحق به المدح والثناء لتوفيق الله له لذلك فقال سأجعلهم قسمين**{أَمَّا مَن ظَلَمَ}** بالكفر**{فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا}**، أى تحصل له العقوبتان عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة:**{وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى}** أى فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاءً يوم القيامة**{وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا}**، أى وسنحسن إليه ونلطف له بالقول ونيسر له المعاملة، وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء العادلين العالمين حيث وافق مرضاة الله فى معاملة كل أحد بما يليق بحاله.

{ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا}، أى لما وصل إلى مغرب الشمس كر راجعاً قاصداً مطلعها، متبعاً للأسباب التى أعطاه الله، فوصل إلى مطلع الشمس فوجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً، أى وجدها تطلع على أناس ليس لهم ستر من الشمس إما لعدم استمدادهم فى المساكن؛

وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم، وإما لكون الشمس دائمة عندهم لا تغرب غروباً يذكر كما يوجد ذلك فى شرق أفريقيا الجنوبى، فوصل إلى موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلا عن وصولهم إليه بأبدانهم، ومع هذا فكل هذا بتقدير الله له، وعلمه به، ولهذا قال كذلك وقد أحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة وعلمنا معه حيثما توجه وسار **{ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ}** قال المفسرون: ذهب متوجهاً من المشرق قاصداً الشمال فوصل إلى ما بين السدين وهما سدان كانا معروفين فى ذلك الزمان، سدان من سلاسل الجبال المتصلة يمنة ويسرة حتى تتصل بالبحار بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قوماً لا يكادون يفقهون قولا لعجمة ألسنتهم واستعجام أذهانهم وقلبوهم، وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية ما فقه به ألسنة أولئك القوم وفقههم وراجعهم وراجعوه فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج وهما أمتان عظيمتان من بنى آدم فقالوا: **{إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ}** بالقتل وأخذ الأنوال وغير ذلك **{فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا}**، أى جعلا **{عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا}** ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذى القرنين عليه فبذلوا له أجرة ليفعل ذلك وذكروا له السبب الداعى وهو إفسادهم فى الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع ولا رغبة فى الدنيا ولا تاركاً لإصلاح حال الرعية، بل قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبهم لما فيها من المصلحة ولم يأخذ منهم أجرة وشكر ربه على تمكينه واقتداره فقال لهم: **{مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ}**، أى مما تبذلون لى وتعطونى، وإنما أطلب منكم أن تعينونى بقوة منكم بأيديكم **{أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا}** أى منعاً من عبورهم عليكم **{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ}** أى: قطع الحديد، فأعطوه ذلك **{حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ}**، أى الجبلين اللذين بنى بينهما السد **{قَالَ انفُخُوا}** النار أى أوقدوها إيقاداً عظيماً واستعملوا لها المنافيخ لتشتد فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس الذى أريد أن يلصقه بين زبر الحديد **{قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا}**، أى نحاساً مذاباً، فأفرغ عليه القطر فاستحكم السد استحكاماً هائلاً وامتنع به من وراءه من الناس من ضرر يأجوج ومأجوج **{فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}**، أى فما لهم استطاعة ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه ولا على نقبه لإحكامه وقوته، فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل أضاف النعمة إلى موليها وقال: **{هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي}** أى من فضله وإحسانه عليّ، وهذه حال الخلفاء الصالحين إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة ازداد شكرهم وإقرارهم واعترافهم بنعمة الله كما قال سليمان - عليه السلام - لما حضر عنده عرش ملكة سبأ

مع البعد العظيم قال:**{هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ}** بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو فى الأرض فإن النعم والكبر تزيدهم أشراً وبطراً كما قال قارون لما آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة قال:**{إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي}** وقوله:**{فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي}** لخروج يأجوج ومأجوج**{جَعَلَهُ}** ذلك السد المحكم المتقن**{دَكَّاء}**، دكه فانهدم واستوى هو والأرض [1]**{وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا}** كائناً لا محالة [2].

قصة يأجوج ومأجوج

يأجوج ومأجوج قبيلتان من بنى آدم، ثم من بنى يافث بن نوح. ذكر ابن عبد البر الإجماع عليه، وقيل: من الترك، وقيل: من الديلم. وقال الحافظ: والأول هو المعتمد، وقال: هما اسمان أعجميان عند الأكثر.

واختلف فى اشتقاقهما فقيل: من أجيج النار وهو التهابها وقيل: من الأجة بالتشديد وهى الاختلاط أو شدة الحر وقيل: من الأج وهو سرعة العدو، وقيل: من الأجاجة وهو الماء الشديد الملوحة، وقيل: يأجوج من ماء إذا اضطرب.

وجميع ما ذكر من الاشتقاق مناسب لحالهم، ويؤيد الاشتقاق وقول من جعله من ماج إذا اضطرب قوله تعالى:**{وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ}**، وذلك حين يخرجون من السد [3]، ومسكنهم فى أقصى الشرق، وقد ذكر الناس فى أوصافهم وأشكالهم أقوالاً عديدة مما يخيل إلى السامع أنهم ليسوا من طبيعة البشر، وهذا كله لا أصل له، قال الحافظ بن كثير: ومن زعم أن يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين احتلم فاختلطت بتراب فخلقوا من ذلك وأنهم ليسوا من حواء فهو قول حكاه الشيخ أبو زكريا النواوى فى شرح مسلم وغيره وضعفوه، وهو جدير بذلك، إذ لا دليل عليه بل هو مخالف لما ذكرنا من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن وهكذا من زعم أنهم على أشكال مختلفة وأطوال متباينة جداً فمنهم من هو كالنخلة السحوق ومنهم من هو غاية فى القصر، ومنهم من يفترش أذناً من أذنيه ويتغطى بالأخرى فكل هذه أقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان، والصحيح أنهم من بنى آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم، وقد قال النبى ﷺ : «**إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً**».

(1) "تيسير الكريم الرحمن" عبد الرحمن بن ناصر السعدى (36/5 - 39).
(2) تفسير ابن كثير (108/3).
(3) انظر "فتح البارى" (106/13).

ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن [1]، وهذا فيصل فى هذا الباب وغيره [2].

وما يذكر فى الأثر عن وهب بن منبه فى أشكالهم وصفاتهم وآذانهم وطولهم وقصر بعضهم، ففيه غرابة ونكارة، وروى ابن أبى حاتم عن أبيه فى ذلك أحاديث غريبة لا تصح أسانيدها [3].

وقد جعل الله سبحانه وتعالى من علامات القيامة الكبرى خروج يأجوج ومأجوج من خلف هذا السد، فيعيثون فى الأرض فساداً وتمتلئ بهم الأرض ولا يمرون على شىء فى طريقهم إلا أتوا عليه وتركوا الأرض من خلفهم خراباً.

وقد صرح القرآن الكريم بخروجهم، قال تعالى:**{حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ}** [الأنبياء: 96، 97].

يأجوج ومأجوج شر قد اقترب

عن أم حبيبة بنت أبى سفيان عن زينب ابنة جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول: **«لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»** - وحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها - قالت ابنة جحش: فقلت: يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**» [متفق عليه].

قال الحافظ: خص العرب بذلك؛ لأنهم كانوا حينئذ معظم من أسلم.

والمراد بالردم: السد الذى بناه ذو القرنين.

قال ابن العربى: فيه البيان بأن الخير يهلك بهلاك الشرير إذا لم يغير عليه خبثه، وكذلك إذا غير عليه لكن حيث لا يجدى ذلك ويصر الشرير على عمله السيئ، ويفشو ذلك ويكثر حتى يعم الفساد فيهلك حينئذ القليل والكثير، ثم يحشر كل أحد على نيته. وكأنها فهمت من فتح القدر المذكور من الردم أن

(1) رواه مسلم.
(2) "البداية والنهاية" (130/2).
(3) انظر تفسير ابن كثير (101/3).

الأمر إن تمادى على ذلك اتسع الخرق بحيث يخرجون وكان عندها علم أن فى خروجهم على الناس إهلاكاً عاماً لهم.

كيفية خروج يأجوج ومأجوج

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، وقال الذى عليهم: ارجعوا فنسحفره غداً إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئة يوم تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم فى حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع عليها الدم الذى احفظ (1)، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً فى أقفائهم فيقتلون بها**»، قال رسول الله ﷺ : «**والذى نفسى بيده أن داوب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم**» (2).

قال الحافظ فى الفتح: قال ابن العربى: فى هذا الحديث ثلاث آيات:

الأولى: أن الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهاراً.

الثانية: منعهم أن تكون أرضهم لا خشب فيها ولا آلات تصلح لذلك، قلت: وهو مردود، فإن فى خبرهم عند وهب فى المبتدأ أن لهم أشجاراً وزروعاً وغير ذلك من الآلات فالأول أولى...

الثالثة: أنه صدهم عن أن يقولوا إن شاء الله حتى يجيء الوقت المحدود. قلت: وفيه أن فيهم أهل صناعة وأهل ولاية وسلاطة ورعية تطيع من فوقها، وأن فيهم من يعرف الله ويقر بقدرته ومشيئته، ويحتمل أن يكون تلك الكلمة تجرى على لسان ذلك الوالى من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود

(1) احفظ أى امتلأ، أى ترجع ممتلئة دماً.
(2) صحيح. رواه أحمد (510/2 - 511) والترمذى (2153) وابن ماجة (4080) وابن حبان (1908 - موراد) والحاكم (488/4) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

ببركتها [1].

وعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يفتح يأجوج ومأجوج، يخرجون على الناس كما قال الله عز وجل:{مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ} فيفشون فى الأرض وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض حتى أن بعضهم ليمر بالنهر، فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً، حتى أن من بعدهم ليمر بذلك النهر، فيقول: قد كان هنا مرة ماء، حتى إذا لم يبق من الناس إلا أحد فى حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقى أهل السماء، قال: ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمى بها إلى السماء، فترجع مخضبة دماً للبلاء والفتنة فبينما هم على ذلك إذ بعث الله دوداً فى أعناقهم كنغف الجراد الذى يخرج فى أعناقهم، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: ألا رجل يشرى نفسه، فينظر ما فعل هذا العدو؟ قال: فيتجرد منهم محتسباً لنفسه قد أظنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادى: يا معشر المسلمين: ألا أبشروا، فإن الله قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لا رعى إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شر من النبات أصابته قط**» [2].

يأجوج ومأجوج وعيسى بن مريم عليه السلام

يكون خروج يأجوج ومأجوج بعد نزول عيسى - عليه السلام - ويتوجه عيسى - عليه السلام - إلى الله تعالى بأن يهلكهم ويستجيب الله لدعائه، ففى حديث النواس بن سمعان -رضى الله عنه - عن النبى ﷺ : «**ثم يأتى عيسى قوم قد عصمهم الله منه (أى من الدجال) فيمسح عن وجوههم [3] ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة، فبينما هو كذلك أن أوحى الله إلى عيسى - عليه السلام - أنى قد أخرجت**

(1) فتح البارى (116/13 - 117).
(2) حسن رواه أحمد (77/3) وابن ماجة (4079) وابن حبان (1909 - موارد) والحاكم (45/2) وحسنه الألبانى فى "الصحيحة" (1793).
(3) قال على القارى رحمه الله: أى يزيل عن وجوههم ما أصابها من غبار سفر الغزو مبالغة فى إكرامهم، أو المعنى: يكشف ما نزل بهم من آثار الكآبة والحزن على وجوههم بما يسرهم من خبرة لهم بقتل الدجال.

عباداً لى لا يدان لأحد بقتالهم [1]، فحرز عبادى إلى الطور» [2].

ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون [3]، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية [4]، فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحضر نبى الله عيسى - عليه السلام - وأصحابه [5]، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم [6]، فيرغب نبى الله عيسى - عليه السلام - وأصحابه إلى الله تعالى [7]، فيرسل الله عليهم النغف فى رقباهم [8]، فيصبحون فرسى[9]، كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبى الله عيسى - عليه السلام - إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض [10]، موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم [11]، فيرغب نبى الله عيسى - عليه

(1) أى: لا قدرة ولا طاقة لأحد بمقاتلتهم.

(2) أى: ضمهم إلى الطور واجعله لهم حرزاً. والطور هو الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه وهو بالقرب من مصر عند موضع يسمى مدين. كما فى "معجم البلدان".

(3) الحدب المرتفع من الأرض وينسلون: يسرعون، يعنى أنهم يتفرقون فى الأرض فلا ترى مرتفعاً من الأرض إلا وقوم منهم يهبطون منه مسرعين فى المشى إلى الفساد.

(4) هى بحيرة فى طرف جبل. وجبل الطور مطل عليها.

(5) أى يحاصرون ويحبسون فى جبل الطور.

(6) أى أنهم تبلغ بهم الطاقة إلى حد نفاد مؤنهم وهم محاصرون بيأجوج ومأجوج.

(7) أى يدعو الله ويرغبون إليه فى إهلاك يأجوج ومأجوج وإنجائهم من بلائهم وشرهم.

(8) أى فيستجيب الله لدعائهم ويرسل عليهم النغف فى رقابهم وهو دود يكون فى أنوف الإبل والغنم.

(9) أى يصبحون موتى ويفرسهم الله فرس السبع فريسته.

(10) أى ينزلون من جبل الطور.

(11) أى رائحتهم الكريهة.

السلام - وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت [1]، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر [2]، فيغسل الأرض حتى يردها كالزلفة[3]، ثم ثم يقال للأرض: انبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة [4] من الرمانة، ويستظلون بقحفها [5]، ويبارك فى الرِّسْل [6]، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس [7]، واللقحة من البقر لتكفى لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ[8] من الناس.

فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارحون فيها تهارج الحمر [9]، فعليهم تقوم الساعة [10].

يأجوج ومأجوج هم أكثر

أهل النار

عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «**يقول الله تعالى يوم القيامة**

(1) البخت نوع من الجمال طوال الأعناق، أى يرسل الله طيراً كبيرة طويلة قوية.

(2) أى لا يحفظ منه بيت تراب أو حجر أو صوف أو شعر.

(3) أى كالمرآة فى صفائها ونظافتها.

(4) أى الجماعة.

(5) أى بقشرها لشدة كبرها.

(6) أى اللبن الحليب.

(7) اللقحة: الناقة الحلوبة، والفئام الجماعة الكثيرة.

(8) أى الجماعة أقل من القبيلة.

(9) أى يجامع الرجال علانية النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، وهذا نموذج لشيوع الفساد والفواحش حينذاك.

(10) رواه مسلم (7230) كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته.

يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير فى يديك، فيقول: أخرج بعث النار من ذريتك، فيقول: يا رب وما بعث النار ؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ويبقى واحد، فعند ذلك يشيب الصغير{وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} » فشق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ويبقى واحداً ؟! من ذلك الواحد ؟ فقال ﷺ : «**أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف ثم قال: والذى نفسى بيده إنى أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبرنا**»، فقال: «**ما أنتم فى الناس إلا كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود**» (1).

أين يقع السد الذى بناه ذو القرنين؟

اختلفت الآراء فى تحديد السد الذى بناه ذو القرنين، ومن هذه الآراء أنه سور الصين العظيم، وهذا الرأى ليس بصواب، لأن من المعلوم أن الذى بنى سور الصين العظيم هو إمبراطور الصين شى هونج فى الفترة ما بين 233 - 221 ق.م، ثم إن الصفات الخُلقية التى عُرفت عن شى هونج تختلف تماماً مع الصفات الخُلقية لذى القرنين.

ومن أوضح الأدلة على أن سد ذى القرنين ليس هو سور الصين العظيم، هو أن سور الصين قد بنى من الحجر، أما سد ذى القرنين فقد بنى من الحديد الممسوك بالنحاس المصهور لقوله تعالى:**{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا}**، والقطر هو النحاس المذاب ويزعم كثير من اليهود أن ذا القرنين هو قورش ملك الفرس، وأن سَدّ باب الأبواب فى أرمينية الذى بناه قورش لحماية ملكه من قبائل الهون الهمجية هو السد المذكور فى القصة ! وهذا القول باطل لما ذكرنا سابقاً أن ذا القرنين ليس هو قورش ملك الفرس، ولأن سد باب الأبواب فى أرمينية قد بنى بالحجارة، بينما سد ذى القرنين بنى بالحديد كما ذكر القرآن.

ويرى البعض: أن سد ذى القرنين هو سد باب الحديد الذى يوجد فى قرية ترمذ من أعمال مدينة بلخ الواقعة فى بلاد ما وراء النهر، قال سيد قطب: وقد مر به فى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى

(1) متفق عليه.

العالم الألمانى (سليد برجر) وسجله فى كتابه. وكذلك ذكره المؤرخ الأسبانى (كلافيجو) فى رحلته سنة 1403 وقال: إن سد مدينة باب الحديد على الطريق - سمرقند والهند.. وقد يكون هو السد الذى بناه ذو القرنين [1]، والقول بأن سد ذى القرنين هو سد باب الحديد قولٌ باطل، وذلك لأن سد باب الحديد قد دمر وانتهى أمره، بينما السد الذى بناه ذو القرنين ما زال موجوداً حتى الآن وسيظل موجوداً حتى قرب قيام الساعة لقوله تعالى:**{فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا}**.

وقد جزم الأستاذ مجدى الشهاوى بموقع السد فى مكان آخر فقال: إن السد موجود فى مكان جبلى شاهق الارتفاع شديد التضاريس قائم كجدارين شامخين على جانبيه فى المضيق الجبلى المعروف باسم "داريال" وهو مرسوم فى جميع الخرائط الإسلامية والروسية فى جمهورية "جورجيا"، وقد استخدمت فى تشييده قطع الحديد الكبيرة وأفرغ عليه النحاس المنصهر كما وصفه القرآن تماماً، وهو كتل هائلة من الحديد المخلوط بالنحاس موجودة فى جبال القوقاز فى منطقة "داريال" الجبلية، وهى حقيقة قائمة لكل من أراد أن يراها.. جبال شاهقة تمتد من البحر الأسود حتى بحر قزوين التى تمتد لتصل بين البحرين طوال 1200 كيلو متر، وهى جبال التوائية حديثة التكوين شامخة متجانسة التركيب إلا من كتل هائلة من الحديد الصافى المخلوط بالنحاس الصافى فى سد "داريال" [2].

والذى قاله الأستاذ الشهاوى لا نستطيع الجزم به، فإن أمراً مثل هذا يحتاج من الدلائل والمؤيدات أكثر مما ذكر، ولا ضير علينا إذا قلنا: إن مكان السد على وجه التحديد غير معلوم لنا.

وقد يقول قائل: لو كان يأجوج ومأجوج وراء هذا السد الآن لاطلع عليهم لتقدم وسائل المواصلات من طائرات أسرع من الصوت وأقمار صناعية لا تترك بقعة من الأرض دون تصوير وبالرغم من كل هذا لم يثبت للسد وجود.

والجواب أن نقول: إن الله سبحانه وتعالى قد أخفى وجودهم رغم هذا التطور العلمى الهائل وليس هذا بمستبعد.

(1) "فى ظلال القرآن" (2293/40).

(2) "المسيح الدجال ويأجوج ومأجوج" مجدى الشهاوى ص 70، ط مكتبة الإيمان بالمنصورة.

يقول العلامة الشنقيطي مخاطباً من يستدلون بهذه الحجة: "فقولكم لو كانوا موجودين وراء السد إلى الآن لاطلع عليهم الناس غير صحيح لإمكان أن يكونوا موجودين والله يخفى مكانهم على عامة الناس حتى يأتى الوقت المحدود لإخراجهم ومما يؤيد إمكان هذا ما ذكره الله تعالى فى سورة المائدة من أنه جعل بنى إسرائيل يتيهون فى الأرض أربعين سنة، وكما فى قوله تعالى:**{قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ}** [المائدة: 26]، وهم فى فراسخ قليلة من الأرض يمشون ليلهم ونهارهم ولم يطلع عليهم الناس حتى انتهى أمدُ التيه، لأنهم لو اجتمعوا بالناس لبينوا لهم الطريق [1].



(1) "أضواء البيان" (202 - 203).